الورع الكاذب كشف المرأة الخائنة والرجل السارق

عاد الرجل ذات مساء إلى بيته، فوجد زوجته جالسة عند النافذة وقد غلبتها الدموع. وقف أمامها قلقاً، ثم سألها عمّا يبكيها. مسحت دموعها بطرف ثوبها وقالت بصوت متهدّج:

إنّ العصافير التي تقف على الشجرة المطلة على نافذتنا تنظر إليّ وأنا أتنقّل في البيت بلباسي المعتاد دون حجاب، وأخشى أن أحاسب عند الله على هذا التقصير.

تأثر الرجل بكلماتها، واقترب منها يقبّل رأسها إعجاباً بعفّتها وخوفها من ربها، ثم حمل فأسا وخرج إلى الشجرة، فقطعها من أصلها ليصرف عن بيته كلّ

سبب يوهم بالمعصية.

ومضت أيام قليلة، عاد خلالها مطمئناً إلى بيته وزوجته، حتى جاء يوم حضر فيه من عمله باكراً، فدخل منزله بخطوات هادئة، فإذا به يرى زوجته في أحضان رجل غريب.
ثبت مكانه لحظة، شعر بصدمة تخترق أعماقه، ثم أدرك أنّ ما رآه لا يحتمل تأويلاً. لم يصرخ، ولم يبطش؛ فقد كان عاقلاً، كظَمَ غيظه، وطلّقها، ثم حمل ما بقي له وترك المدينة كلها خلف ظهره، رافضاً أن يعيش بين طرقٍ تذكّره بخيانتها.

انتقل إلى مدينة أخرى يبتغي نسيان ما كان. وفي يوم من الأيام، كان يتجوّل في سوقها، فسمع ضجّة وصياحاً. سأل أحد الواقفين: ما الذي يحدث؟
قال الرجل: خزينة الأمير سُرقت، والجنود يفتّشون كل من يُشتبه به.

وفيما هم يتحدّثون، مرّ رجل يخطو خطوات دقيقة جداً؛ يرفع قدمه ببطء، ينظر تحتها ملياً، ثم يضعها بحذر، ويمشي على رؤوس أصابعه كمن يطأ جمراً.
سأل الغريب أحد الواقفين: وما شأن هذا الرجل؟
قال: هذا شيخنا وزاهد المدينة، من شدة ورعه يمشي هكذا خشية أن يدعس نملة فيُكتب عليه ذنب.

تأمّله الغريب نظرة طويلة، وكأن شيئاً انكشف له. ثم قال بثبات: دلّوني على قصر الأمير... فقد وجدت السارق.

دخل على الأمير وقال له: أعلم مَن سرق خزانتك.
رفع الأمير رأسه باستغراب وقال: من؟
قال: الشيخ الذي تلقّبونه بالعابد الزاهد.

احمرّ وجه الأمير غضباً: أتتّهم رجلاً اشتهرت تقواه؟
قال بثقة: إن كنت كاذباً فاضرب عنقي.

أمر الأمير الجنود بتفتيش منزل الشيخ، وما هي إلا لحظات حتى عادوا بالأموال المسروقة قد خُبِّئت في بيته. أُحضر الشيخ فاعترف بالسرقة، فسأل الأمير الرجل مندهشاً: وكيف عرفت أنه السارق؟
قال:
حين يُبالغ أحدهم في ادعاء الورع، فاعلم أن وراء المبالغة ظلّ جريمة يخفيها.